ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (6010) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (20) تشرين الأول 2025

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

كيف عزل صديق الملك عن البلاط الملكي ؟

من تاريخ الحياة النيابية في العراق

عندما أصبح الشاعر الجواهري نائبا سنة 1947

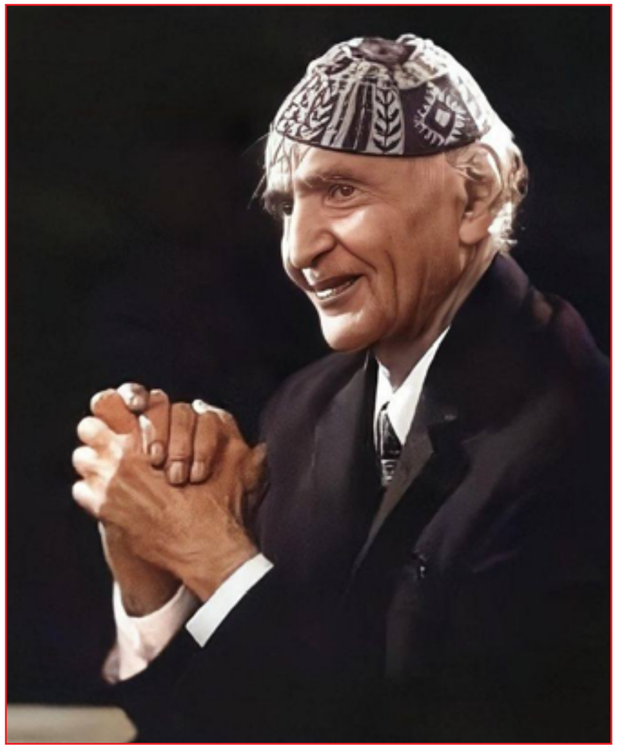

عباس غلام نوري

أدرك الجواهري من خلال الحقبة التي قضاها مع الساسة العراقيين من النخبة الأولى للحكم الوطني في العراق، ومن خلال اشتغاله في البلاط الملكي، فضلا عن احتكاكه المباشر وغير المباشر بالوزارات التي تعاقبت على البلاد، اذ تراكمت عندهُ خلفية سياسية يستطيع فيها أن يمارس دورهُ على الصعيدين السياسي والصحافي . بات حلم النيابة من الاحلام الرئيسة التي كانت تراود مخيلة الجواهري منذ ان جاء الى بغداد، ولم يكن بالأمر الهين والمستغرب منه وهو الرجل الطموح الذي يرى في نفسه الكفاية لإشغال كرسي النيابة، فضلا عن كونه شاعراً وأديباً، موضحا أن العملية الانتخابية لاتخلو من التزوير الذي طال الكثير من الدورات الانتخابية منذ الحياة النيابية في العراق منذ الحكم الوطني وحتى انتخابات عام ١٩٤٧.

رشح الجواهري نفسه في نهاية عام ١٩٤٧ لانتخابات المجلس النيابي بعد مقابلته الوصي، بناء على طلبه بدخول البرلمان الذي كان حلماً يفكر به، لكن قدوم الجواهري لهذا الغرض جاء متأخراً فلم يبق سوى يومين على دفع التأمينات الخاصة بالمرشحين التي تبلغ (١٠٠) دينار والتي دفعها الوصي اليه من خزانة البلاط . احال الوصي امر ترشيح الجواهري للنيابة الى رئيس الوزراء نوري السعيد، لكن الاخير لم يكن مع دخول الجواهري المجلس لما يعرفهُ عنه، وقناعته بأنه لايصلح لهذا المكان لما يشكلهُ من تهديد بسبب مواقفه وآرائه وانتقاداته المستمرة، لذا اجاب السعيد الوصي بأن يتخذهُ سكرتيراً خاصاً له ومما قالهُ للوصي (سبق وانتقاهُ عمك «الملك فيصل» في البلاط الملكي) الا أن الجواهري اعترض حين عُرِضَ الموضوع عليه مصراً على دخول المجلس ومع هذا الإصرار، أبلغ بدخول القائمة التابعة للواء كربلاء على الرغم من وجود نائب مرشح عن اللواء وهو عبدالرزاق شمسه ويُعد مرشح رئيس الوزراء في حين يعدّ الجواهري مرشح الوصي، وبعد سلسلة من المداولات بين بغداد وكربلاء، اسفرت عن سحب الجواهري لترشيحه لاعتقاده أن مرشح رئيس الوزراء هو الفائز لامحالة رغم تدخل الوصي من جهة، ولارتباطه مع المرشح المذكور عبدالرزاق شمسة بعلاقة عائلية قديمة ومعرفة شخصية من جهة ثانية، ولهذا كله ترك الجواهري أمر النيابة، علماً أن متصرف اللواء نفسه أخبرالجواهري ان مرشح رئيس الوزراء هو الفائز المنتظر .

ولم تكن هذه المرة الأخيرة التي يتقدم الجواهري للترشيح الى المجلس النيابي، اذ سبق ان رشحهُ رئيس الوزراء السابق ياسين الهاشمي عام ١٩٣٦ وصارحهُ بانه يجب أن يكون عضوا في البرلمان القادم وطلب منه مقابلة وزير الداخلية لوجود شاعر في لواء كربلاء، لكن متصرف كربلاء آنذاك وهو صالح جبر وقف ضد هذا الترشيح .

في غضون ذلك نظمت جمعية الصداقة العراقية الانكليزية عام ١٩٤٧ سفرة للصحفيين لزيارة لندن مدة شهر ودعيَ الجواهري أن يكون ضمن هذا الوفد في نشاط خاص للسفارة البريطانية في بغداد باختيار عدد من أصحاب الصحف والمحررين الذين وقفوا الى جانب بريطانيا في الحرب كما يخبرنا التكريتي في كتابه، «اختير الجواهري من ضمن الوفد والتقى الجواهري في لندن مع رئيس الوزراء نوري السعيد، فقد كانت لهُتحدثت عن البرلمان وإمكانية ترشيح الجواهري في الانتخابات القادمة.

وعندما بدأت في ١٥ من تشرين الثاني ١٩٤٧ الانتخابات النيابية لسد الشواغر الموجودة في البرلمان،رشح الجواهري في الانتخابات التكميلية لسد الشواغر في لواء كربلاء وذلك بعد وفاة نائب كربلاء عبدالرزاق شمسة، رشح الجواهري بدلاً عنه بعد عودته من لندن، وحقق ما كان يطمح اليه منذ مدة طويلة جداً، ومنذ اول وهلة لدخوله المجلس وقف مع المعارضة، ولم تختلف منطلقاته الفكرية ومواقفه السياسية وهو في البرلمان عن تلك المواقف على صفحات جريدته.

وفي أولى جلسات المجلس التي شارك فيها، وفي ضوء مناقشة الشأن الداخلي تجلت مواقفهُ ومداخلاته التي استمرت خلال الاجتماعات المتكررة، وكانت اولى مواقفه دعوته الى احتواء «أزمة الخبز» المستحكمة والمستفحلة التي واجهت البلاد بشكل لم يسبق له مثيل وذلك في كانون الأول ١٩٤٧). وأدت بعد ذلك الى ارتفاع أسعار الحنطة بشكل كبير تراوحت بين «١٥٠ و ٢٤٠» ديناراً للطن، والشعير بين «٦٠ و ٩٠» ديناراً للطن، فضلاً عن ارتفاع اسعار الدقيق في الأفران لصنع الصمون مما شكل سابقة خطيرة على الصحة العامة وحياة الناس وحاجتهم، لذا تقدم الجواهري مع بعض النواب بمذكرة إستيضاحية تفصيلية بهذا الشأن الى رئيس المجلس في الثالث والعشرين من كانون الأول كما وتناولت معارضة الجواهري في الشؤون الداخلية والخارجية التي عرضها أمام المجلس جوانب اخرى كانت تتضمن جملة مواقف نستخلص منها ما يأتي :

انتقاد المسؤولين لتهربهم عن مسؤولياتهم تجاه الوطن في مدة طويلة جداً كثرت خطابات العرش دون تغيير منذ تأسيس الحكم الوطني واستقلال العراق .

خداع الشارع العراقي والوجوب الوقوف على الامور التي تعيق تقدم البلاد قياسا بالأمم الحُرى .

وجود فجوة عميقة وهوة واسعة باعدت بين الشعب العراقي الذي نضجت مداركه وتغيرت مقاييس تفكيره وتسرب الوعي الشديد والعنيف الى نفوس الاطفال والشيوخ والعجزة، وبين المسؤولين عنه خلال هذه الفترة وهذه الفجوة وقفت حائلا بين سير القافلة «الشعب» الى أمام وبين موقف الطبقة الحاكمة المسؤولة عن تعثرها وعدم سيرها نحو التقدم، حسب تعبيره .

دافع الجواهري عن الشباب واعتبرهم خير وجود للعراق ونهضته، معترضاً على نقص الثقافة التي يتلقاها الطلبة في المدارس، بالنسبة الى مناهجها المعروفة وسياسة التعليم الموسومة .

كان يؤمن بأن كل ثقافة مهما كان لونها ونوعها هي خير من الجهل .

طالب أن يعيش الفرد العراقي سعيداً مرتاح البال، موفور الكرامة مأمون العاقبة، وان تكفل له كل حرياته وأن تهيىء له الدولة الطمأنينة على مصيره وعائلته .

أبدى طموحه أن يتساوى الجميع في الحقوق والواجبات .

طرح في موقفه في أكثر من مناسبة بأن بريطانيا العدو الأول للعرب والعراقيين، وان كل مبدأ هدام أو غير هدام مما لايتماشى مع النظام والدستور في العراق سيذوب من تلقاء نفسه في ظل دستور ويكون ضمن مسارات مؤمنة وواقعية، وان الضعف والعجز والفقر انما يكمن في نهج الوزارات وخطابات العرش .

رفض الجواهري كل اشكال الاستعمار والاستعباد من القوى الاستعمارية ولاسيما موقفه من المعاهدة العراقية – البريطانية والملاحق الخاصة به وكيفية ربط العراق مع بريطانيا في أوقات الحرب والسلم دون الاعتراف بها بانها دولة محتلة ودون ثمّ ربط مصير العراق بها .

أما على الصعيد العربي فمن آرائه الفكرية ومواقفه السياسية التي تطرق لها طوال مدة دخوله المجلس النيابي جاء فيها :-

التأكيد على القضية الفلسطينية ووجوب وقوف الحكومات مع شعبها ولو لمرة واحدة بعد فشل جميع المساعي لاعادة الأراضي المغتصبة من الاحتلال الإسرائيلي.

سخريته من قرارات الجامعة العربية ومواقفها آبان القضايا العربية المصيرية، ومنها قرار مجلس الأمن بشأن تقسيم فلسطين ومواقف الجامعة العربية من الدول التي وافقت على قرار التقسيم هذا واعلان المقاطعة الاقتصادية عليها اذ لم يشمل القرار أهم مورد وهو النفط .

إيضاح ما يحاك من خطط ومقررات سرية، دون علمهم، وتناولها من خلال الصحف الأجنبية بشكل علني دون تكتم .

ربط الجواهري زوال فلسطين بزوال الأمة العربية، وان الغاية ليست هي بالتبرعات ومد الفلسطينيين بالسلاح وانما هي مسألة كرامة إرغام المتحكمين على أن العرب يفعلون ثم يقولون ولايقولون ثم يفعلون .

وكان يرى أن ضعف المجالس النيابية وهزل السلطة التشريعية وراء توالي الاضطرابات في داخل العراق، ولايرى مخرجاً لحل مشكلات العراق الا بأقامة حكومة شعبية ديمقراطية لاكتاتورية تتحكم بها النخبة الارستقراطية التقليدية

عن رسالة (محمد مهدي الجواهري ودورهُ السياسي في العراق)

جماعة الأهالي .. هل تحولت الى حزب سياسي ؟

الأهالي
مقاطعة الكمرباء في يوم الثاني والعشرين
ماهذا التصرف؟

د . مجيد خدوري

ترجمة - وليد خالد احمد

2_1

أسست جماعة الأهالي عام ١٩٣١ فئة صغيرة من الشباب المتحمسين المُشبعين بافكار ليبرالية، كانوا جماعة احسّت بعمق ان السلطة السياسية كانت منذ زمن طويل بيد جماعة صغيرة من كبار السن حالت عمداً بينهم وبين نهوضهم بدورهم في حياة بلادهم السياسية. غير ان هؤلاء الشباب كانوا منقسمين على انفسهم انقسامات حادة ولذلك كانوا ضعفاء وعاجزين سياسياً. لم تكن تجمع بينهم خلفية اجتماعية كانت أم ثقافية، ولذلك كانوا منقسمين على فئات صغيرة. كانت هناك بالدرجة الأولى جماعة الذين تلقوا تعليمهم العالي في الخارج، وبالدرجة الثانية الذين تلقوا تعليمهم العالي في الداخل، ومعظمهم تخرج في كلية القانون ببغداد. اخفق شبان هذين المعسكرين، على الرغم من براعتهم وطموحاتهم في الإفادة من التعاون، بسبب عدم الثقة وغياب التواصل الحميم بينهم اساسا. لكنهم احسوا احساساً عميقاً بالحاجة إلى التقارب بينهم، وعليه فقد تشكّلت حفنة من هؤلاء الشباب عفوياً، واصبحت تُعرف باسم جماعة الأهالي، على اسم صحيفتهم اليومية. عندما انطلقت هذه المجموعة كانت تدافع بداية عن مبادئ الثورة الفرنسية والديمقراطية بصفتها شكل الحكومة المثالي. برزت الأهالي، صحيفة الجماعة فوراً لتكون اكثر صحف البلاد شعبية، لأن اعضاء الجماعة كانوا يتعاونون بينهم تعاوناً فعالاً في تحريرها ومدّها بمقالات كان لها صدى واسع في بغداد. مرّت جماعة الأهالي بتغيير عام ١٩٣٤. فتبنّت الإشتراكية، تحت تأثير عبد الفتاح ابراهيم ومحمد حديد بصفها اول مواد المعتقد. يبدو ان عبد الفتاح اصبح اشتراكياً عام ١٩٣٠ بسبب قراءاته عن الإتحاد السوفيتي عندما تخرّج في جامعة كولومبيا. أما حديد فقد تخرّج في مدرسة لندن للعلوم الإقتصادية والسياسية، وكان متأثراً جداً باتجاهاتها الإشتراكية الصريحة. وعلى الرغم من انه ينحدر من عائلة موصلية عريقة معروفة بثرائها ومحافظتها، إلا انه جلب معه إلى العراق مذهباً صدم اغلب مواطنيه. ولهذا السبب تحديداً فضّلت الجماعة الإشارة إلى ايديولوجيتها بمصطلح الشعبية، بدلاً من مصطلح الإشتراكية المعروف. الف عبد الفتاح بمساعدة اصدقائه من الأهالي كتاباً صغيراً بجزأين شرح فيه افكار الجماعة ومُثلها. كان الجزء الأول منها مدخلاً إلى الثاني على الرغم من انه اكبر منه، ذلك انه تناول التاريخ السياسي منذ عهد الإغريق وصولاً إلى الثورة الروسية. أما الجزء الثاني الذي كانت جماعة الأهالي تقرأه بعناية وتركيز فقد رسم الخطوط العامة لمذهب الشعبية، واصبح برنامج الجماعة لكل النوايا والأغراض. يسعى مذهب الشعبية إلى "رفاهية كل الناس" دون تمييز بين الأفراد والطبقات على اساس الثروة أو الأصل أو الدين، ويدافع عن الإصلاحات الإجتماعية في العراق. وانحى باللائمة على الشعب ككل لا على الأفراد. ودافع في الوقت ذاته عن حقوق الإنسان الأساسية كالحرية وتساوي الفرص والتحرر من الطغيان. ويضيف قائلاً ان على الدولة ان تعنى عناية كبيرة بصحة الفرد وتعليمه وتنظيم حقه بالعمل. وعلى هذا فان الشعبية تتألف من مبادئ كل من الديمقراطية والإشتراكية، حيث انها تعترف بالنظام البرلماني الذي يقوم على التمثيل الفعال. ومع ذلك فان الشعبية تختلف عن أي منهما؛ فهي تدافع، بمقارنتها بالديمقراطية، عن نوع من الجماعية؛ ولا تقرّ، بمقارنتها بالإشتراكية الماركسية، بوجود صراع طبقي في المجتمع، أو الإجراءات الثورية في التغيير الإجتماعي. كما انها تقرّ، مقارنة بالإشتراكية الماركسية، بوجود مؤسستي الأسرة والدين. وتعترف الشعبية ايضاً بالوطنية بصفتها الف باء العقيدة، لكنها لاتعترف بالقومية لأنها غالباً ما تؤدي إلى الإمبريالية وهيمنة طبقة اجتماعية واحدة، في حين لاتلهم الوطنية الأفراد سوى الولاء للبلاد. "تاريخ القومية" يقول بيان الأهالي "حافل بالدم والطغيان والنفاق" بينما يفصح تاريخ الوطنية انه يؤيد عدم العدوان او التمييز الإجتماعي، ويقر باهمية كل فرد كاهميته لأرض اجداده. مع ان جماعة الأهالي باتت نشطة واكثر نفوذا عام ١٩٣٤، فانها لم تشعر ان الوقت قد حان لتنظيم حزب سياسي. بل قررت ان تؤسس حلقة اجتماعية لنشر الشعبية. ومن هنا افتُتح نادي بغداد في بواكير عام ١٩٣٤ لكل الشباب ذوي التعليم الراغبين بالمشاركة في انشطته الإجتماعية. وعلى الرغم من حقيقة ان القوميين خربوا النادي، فان افكار الشعبية جذبت الكثير الكثير من الشباب و اثارت نقاشات مفعمة بالحيوية. غير ان النادي أغلق بعد بضعة اشهر بسبب المعارضة غير المباشرة للحكومة. لم تحقق افكار الشعبية تقدماً كبيراً لأسباب يعود معظمها إلى معارضة السياسيين كبار السن وإلى دعاية القوميين المضادة. فقد صرحوا بعنف ان الشعبية ليست سوى الشيوعية باسم آخر، وبالتالي فانها تناقض تقاليد العرب القومية والعمل على تقويض تعاليم الإسلام. في هذه الأثناء قررت الجماعة استخدام وسيلة تروق اكثر للمجتمع العراقي. تم التخلي عن مصطلح الشعبية وتخلت الجماعة عن الأفكار الأكثر راديكالية في الوقت الراهن. وعليه فقد كان ممكناً توسيع عضوية الجماعة بضم قلة من السياسيين كبار السن الأكثر ليبرالية. فانضم كامل الجادرجي، العضو السابق في حزب الإخاء، إلى الجماعة عام ١٩٣٤. وجد الجادرجي الذي ترك حزب الإخاء عندما تولى رشيد عالي الكيلاني السلطة عام ١٩٣٣ ان الحزب لايتلائم وافكاره الأكثر ليبرالية، فنشر مناقشة تحفيزية عن السيادة والديمقراطية دافع فيها عن ضرورة مشاركة عموم الجماهير في الحكومة. كانت افكاره اكثر تقدمية نوعاً ما من وجهة نظر حزب الإخاء، ولذلك كان من الطبيعي ان يتمرد عليه الجادرجي وينضم إلى جماعة الأهالي. وبتأثير الجادرجي كسبت جماعة الأهالي جعفر ابو التمن وحكمت سليمان فتحسنت مكانتها الإجتماعية وقوتها. يُذكر ان جعفر ابو التمن كان قائد الحزب الوطني. كان معروفاً باخلاصه واستقامته؛ كان شخصية وطنية محترمة، ومؤمناً راسخ الإيمان بالمؤسسات الديمقراطية. غير ان اختلاط ابو التمن بشتى السياسيين القوميين في الماضي اصاب ابو التمن بخيبة امل، ولذلك مال إلى اليسار. ومن هنا كان انضمامه إلى جماعة الأهالي موضع تقدير عال، ثم اصبح زعيم الجماعة. وكان حكمت سليمان عضواً سابقاً في حزب الإخاء ايضاً. ويُذكر انه كان المبادر إلى اجتماعات الصليخ، إلاّ ان اختلافه مع جماعة ياسين- رشيد جاء به هو ايضاً إلى جماعة الأهالي. توسّعت جماعة الأهالي ابان عامي ١٩٣٤- ١٩٣٥ ولو انها اصبحت، وما تزال في حالة تقلب وتغير متواصل. لكن وصول حزب الإخاء إلى السلطة في آذار ١٩٣٥ جعل الجماعة تدرك ذاتها وتعمل بنشاط اكبر للوصول إلى السلطة. فشُكلت لجنة تنفيذية تتألف من ابو التمن وحكمت سليمان والجادرجي وحديد وعبد الفتاح ابراهيم. باشرت اللجنة اتصالات بسياسيين كبار السن، لاسيّما اعضاء جمعيات غير سياسية كجمعية مكافحة الأمية. كانت اجتماعات جمعية الأهالي سريّة، وكان الذين يشاركون فيها يُستجوبون ويقسمون على الإخلاص لمبادئ الجماعة قبل قبولهم فيها. ولكن لم تعد الشعبية تُذكر، وكأنها هُجرت كلياً، واصبح الشعار الرئيس المناداة "بالإصلاحات" عموماً. ولكن كان دائما ثمة جناح يساري اكثر اهمية ضمن الجماعة يتعلق بافكار اكثر راديكالية. وكبار اعضاء هذا الجناح هم عبد القادر اسماعيل و محمد حديد وعبد الفتاح ابراهيم. كان اولهم ماركسياً صريحاً يدافع عن الشيوعية بوضوح وبساطة، فيما اكّد الآخران على مبادئ الشعبية. عند هذا المنعطف اقترح بعض الأعضاء تحويل جماعة الأهالي إلى حزب سياسي تعترف به الحكومة ودعوا إلى معارضة علنية للنظام القائم عبر القنوات القانونية. عارض الفكرة حكمت سليمان وابو التمن، مفضلين تحشيد القوة عبر الإتصالات الشخصية بالمسؤولين الحكوميين وضباط الجيش، فيما عبّر عبد الفتاح الذي دافع عن فكرة تأسيس حزب سياسي عن عدم موافقته، وهكذا تهرّب من السلطة ساعة اقتراب النصر منسحباً من الجماعة التي عمل من اجلها بكل جد واجتهاد. واصلت جماعة الأهالي تصعيدها المعارضة عن طريق هجومها العنيف على الحكومة في صحيفتها، غير ان مواجهة هذه الهجمات كانت سهلة عن طريق سيطرة الحكومة الشديدة على الصحافة. وإلى ذلك فان الحكومة قمعت كل عناصر المعارضة بالقوة؛ فقد القي القبض على الشيوعيين، وفصل الموظفين الحكوميين المشكوك بهم. قدّم بعض السياسيين الليبراليين الأكبر سناً التماسات إلى الملك احتجاجاً على طغيان وزارة ياسين- رشيد، لكنها ذهبت ادراج الرياح.

المكتبة العربية سنة 1905.. المكتبة الأولى في بغداد

عادل العوضي

تحتوي مدينة بغداد على مجموعة من الأسواق القديمة التاريخية التي يعود تاريخ بنائها إلى عهد الدولة العباسية، ومن تلك الأسواق (سوق السراي، وهو سوق مسقوف، يوازي نهر دجلة، ويشكل مع شارع المتنبي الذي يربط شارع الرشيد بنهر دجلة زاويةً قائمة، ويُعرف هذا السوق حاليًا بتجارة القرطاسية (الدفاتر والأوراق والكتب المدرسية...).

وقد قام أمين الريحاني بوصف هذا السوق في كتابه (قلب العراق رحلات وتاريخ) ، بقوله: (وفي السوق المسقوف –سوق السراي– مرجة للأدب خضراء صفراء هي الدكاكين التي تباع فيها الكتب والمجلات).

وكما هو الحال في كل سوق له رجالاته وروّاده، تجد منهم من يحفر اسمه في السوق حتى بعد إغلاق محله بسنوات، فتجد الآباء يحكون لأبنائهم عنه، والكاتب الذي يكتب عن الحياة في ذلك السوق لا مناص من أن يذكره بشيء من التفصيل أو يقتصر على بعض أخباره.

ومن هؤلاء: نعمان الأعظمي، الكتبي، صاحب (المكتبة العربية)، من أقدم الكُتُبيين بسوق السراي، وشيخ الكتبيين والمجلدين وأشهرهم.

اسمه ومولده ونشأته:

هو نعمان بن سلمان بن محمد صالح بن أحمد بن سلمان بن نعمان داود بن سلمان الأعظمي، ولد في محلة الشيوخ في الأعظمية (١٣٠٦هـ-١٨٨٨م) ودرس في كتاتيبها ومدارسها الابتدائية وكان من المتفوقين، وبعد وفاة والده فتح بسوق السراي في بغداد عام (١٩٠٥م) محلاً للتجليد وهو في الوقت نفسه مكتبة لبيع الكتب، سماها بعد الاحتلال البريطاني: المكتبة العربية، حيث أصبحت أشهر مكتبة في العراق والوطن العربي، وكانت أكبر مكتبة في سوق السراي والعراق كافة، وكانت هذه المكتبة من أشهر دور الكتب، ومنتدى لرجال الفكر والعلم والأدب.

كان الأعظمي من العارفين بالكتب، ذوّاقًا باختيار ما ينشره ويطبعه من الكتب القديمة، بل كان الوحيد الذي يفهم هذا الفن ويعتني بتسويق الكتاب المخطوط وعرضه، وكان ذلك نتاج الممارسة الطويلة، ورحلاته الكثيرة إلى مصر وإيران، وكان الوحيد الذي يستورد الكتب، وكانت له علاقات واسعة في تلك الفترة مع مكتبات خارج العراق في مصر، وتونس، والهند، وبرلين، ولندن، وباريس، وغيرها، ويتبين ذلك من خلال الرسائل والوثائق المتعلقة بالمكتبة .

وكان يشجع على فتح المكتبات في جميع أنحاء العراق، ويساعد على ذلك، ويساهم فيه كثيرًا، ويمد أصحابها بالكتب والمؤلفات، كمكتبة الجامعة بالبصرة، والمكتبة العربية بالموصل، وفي غيرها ببغداد وخارجها، كالكاظمية، والأعظمية، وكركوك .

وهو من أوائل الناشريين العراقيين، وكان يُحسن اختيار الكتب التي يتولى طبعها ونشرها، ولا يوجد مَن يضارعه في ذلك، وكان جل اهتمامه ورغباته إحياء ما يتعلق بتاريخ العراق ولا سيما بغداد .

سردَ مؤلف كتاب (مباحث في أوائل المطبوعات والمكتبات العراقية)(كلّ مطبوعات المكتبة العربية التي طبعها داخل العراق وخارجها، والتي هي باللغة العربية والكردية والفارسية، فبلغت (١٣٧) عنوانًا، وكان يطبع الكتب على نفقته الخاصة بالمطبعة السلفية بمصر[١٣]) حيث كانت له حصة فيها. أما في العراق فكان يطبع لدى مطبعة الفرات قبل أن يؤسس المطبعة العربية عام ١٩٤٧م(.

ذكرَ قاسم الرجب في (مذكراته) أنه (في سنة ١٩٣٠-١٩٣١ بدأ نعمان الأعظمي بنشر كتاب عظيم هو تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب أحمد بن ثابت البغدادي، وكان الكتاب يُعد من الكتب المفقودة، فعثر عليه محمد أمين الخانجي عند تجواله في المكتبات الشرقية والأوروبية، وباشر بنشره بالاشتراك مع مطبعة السعادة بمصر، ونعمان الأعظمي ببغداد، وأشرف على تخريج أحاديثه الشيخ حامد الفقي، وبعض المشايخ من العلماء بمصر بإشراف الخانجي نفسه...).

الحوادث الجامعة، والتجارب النافعة، في المئة السابعة.

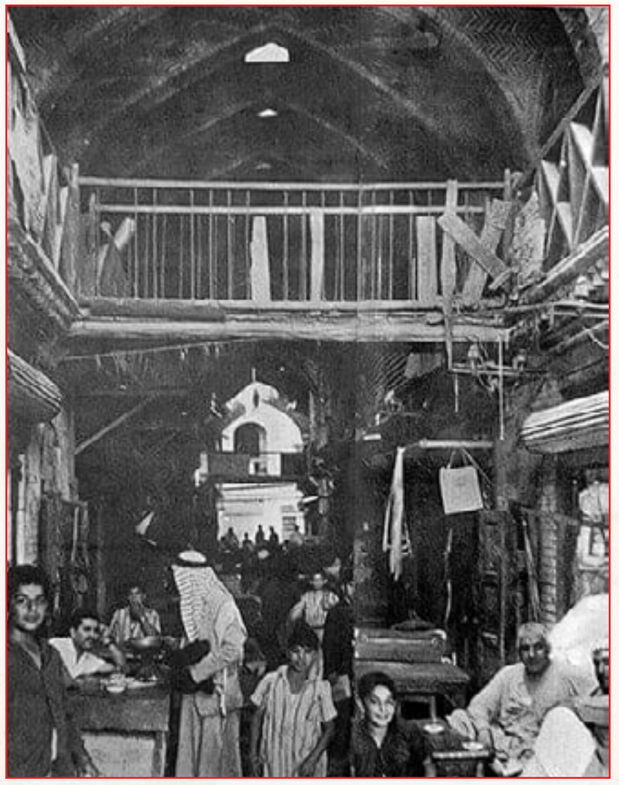

نُسب إلى كمال الدين ابن الفوطي، ونُشر بتحقيق مصطفى جواد([١٦])، وهذا الكتاب أهداه الأعظمي بنفسه إلى ملك العراق فيصل الأول (وصدّره بكلمة إهداء كتبها نعمان ثابت.

وكان الأعظميُّ أوّلَ مَن عمِل الكَلابِش في العراق للمصحف، وعملها في المطبعة السلفية بمصر.

وإلى جانب عمله في نشر الكتب، فقد كان له حظ من التأليف، فجمع ديوانًا طبع سنة (١٩٢٧م) بعنوان (مناجاة الحبيب في الغزل والنسيب يشتمل على أهم القصائد الغزلية، والأبيات الغرامية للشعراء الأقدمين والعصريين، قال في مقدمته: (فلما رأيت الأدب قد راج في هذا العصر، وشاهدت الإقبال قد ازداد على النظم والنثر، دعاني ضميري أن أهدي إلى أدباء شبابنا وفضلاء كهولنا هذا الديوان)، والأعظمي كوّن لنفسه ثقافة تكاد تكون عالية جدًا جرّاء احتكاكه بالنخبة المثقفة في العراق، وبسبب سفراته إلى خارج العراق.

وأشهر مَن عمل في المكتبة العربية: قاسم محمد الرجب، صاحب مكتبة المثنى ببغداد، عمل فيها مدة سبع سنوات، وكانت بداية العمل في عام (١٩٣٠م)، وتربطه بنعمان صلةُ قُربى وصلةُ جوار.

وكانت للأعظمي عادات في البَيع، فإذا باع كتابًا تغزّل به. ومن عاداته أنه يطرق المجلد بالأخر ليظهر صوتًا، ويصيح (كل الصيد في جوف الفرا).

كما أنه إذا اشترى كتابًا من المزاد أو من بعض الناس، لا يعرضه للبيع إلا بعد مدة، والسبب في ذلك أن سعره يبقى عالقًا في أذهان الناس.

صاحب المكتبة العربية والمخطوطات:

سبق أن ذكرنا بأن نعمان الأعظمي كان يعتني بتسويق الكتاب المخطوط والمطبوع، ومن أسباب إلمامه التقاؤه بخبير المخطوطات السيد محمد أمين الخانجي الذي كان يُعَدّ الورّاق الوحيد في العالم العربي، وكان الأعظمي كغيره من تجّار الكتب يعمل في تجارة المخطوطات، وكانت المخطوطات تصل إلى بغداد من كربلاء والنجف، وكانت من أجود ما يُعرض من المخطوطات وأندرها، فكان الكتبي مهدي رئيس وغيره يعرضونها على الأعظمي وغيره.

وذكرَ أنه سافر ذات مرة إلى إيران فاشترى بعض المخطوطات، ولما عاد احتُجزت منه على الحدود، ولم يتمكّن من إخراجها وإعادتها، ولكنه عند عودته أخبر المحامي أحمد حامد الصراف بما وقع له، ولكي يتوسط له عند السلطات الإيرانية بحكم علاقاته الودية بالكثير منهم، اشترط على نعمان أنه إن وُفّق إلى إعادة المخطوطات فله أن يأخذ أحدها، ويختار ما يعجبه منها، فوافق الأعظمي، ونجح المحامي في مَسعاه، واختار منها (ديوان حافظ شيرازي) المحلّى بالذهب، إلا أنه عاد وباعه على الأعظمي.

وكان الأعظمي يستنسخ المخطوطات، فقد استنسخ مخطوط (رشف الزّلال في السحر الحلال) للسيوطي، ونسخ منه لعبد الستار القَرَغولي، وباع الأصل للشيخ فالح الصيهود وكان الأخير من زبائن الأعظمي.

وكان الأعظمي في سفرته السنوية إلى مصر يشحن معه ما جمعه من المطبوعات الحجرية، ومطبوعات بغداد، والمخطوطات ليعرضها بمصر والشام، أو يبدلها بمطبوعات، فقد كانت الكتب الخطية لا سوق لها في العراق، وكان الهاوي الوحيد لشراء المخطوطات في العراق آنذاك المحامي عباس العزاوي([٢٧])، وكان الأعظمي لا يعرض عليه إلا بعض ما يحصل عليه، وأما الجيّد فيرسله إلى مصر.

وفاة صاحب المكتبة العربية:

توفي نعمان الأعظمي بتاريخ ١/ ٣/ ١٩٥٠م، وتولى إدارة المكتبة من بعده أبناءه: سلمان ومنذر، وذلك إلى بداية السبعينات، وبعد ذلك استمر ابنه سلمان في إدارة المطبعة، وتغير اسمها إلى مطبعة سلمان الأعظمي، أما شقيقه منذر فاشترى مطبعة الزوراء وتفرغ لها ونقل المكتبة من مكانها في رأس سوق السراي إلى وسط سوق السراي .

عن موقع (رؤى)

نص نادر

كيف عزل صديق الملك عن البلاط الملكي ؟

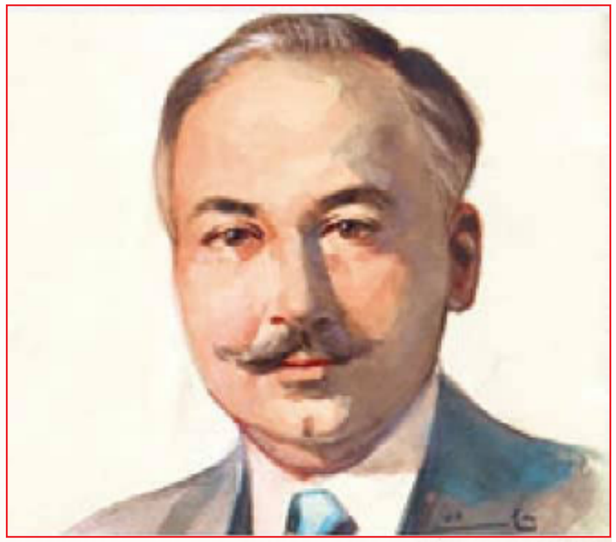

إعداد : رفعة عبد الرزاق محمد

في منتصف الثمانينيات كتبت مقالة بعنوان (إستجلاء موقف فهمي المدرس يوم التتويج سنة ١٩٢٢) تناولت فيه الحادث الخطير الذي وقع أمام البلاط الملكي في يوم الذكرى الاولى لتتويج الملك فيصل الاول وأدى الى قرارات للمندوب السامي البريطاني في بغداد لضرب الحركة الوطنية، ومنها عزل المرحوم فهمي المدرس الذي كان يتولى منصب رئيس الامناء في البلاط الملكي..

وعندما التقيت يومئذ بالاستاذ خيري العمري عرضت عليه ما نشرته، فابدى رضاه عن التفاصيل التي اوردتها في المقال، غير انه لم يكتف بذلك رغم مرضه رحمه الله، بل شفع موافقته بكلمة عن الموضوع، اقدمها هنا لاهميتها التاريخية ..

ربما وقع اختيار الملك فيصل الاول على فهمي المدرس ليكون اول رئيس للامناء في البلاط لاسباب عديدة منها ما كان يتميز به الرجل من مكانة ادبية وعلمية منذ العهد العثماني باعتباره واحدا من العراقيين القلائل الذين برزوا في الاوساط العلمية فتبوأ مركزا مرموقا في جامعة الاستانة وصار احد الاساتذة فيها مما كان ينظر اليه العراقيون بصورة عامة، والبغداديون بصفة خاصة باعتزاز..

وكان وجود المدرس في هذا المنصب وهو وثيق الصلة والعلاقة بالاوساط الوطنية يجعل البلاط في تلك الفترة، وبتشجيع منه مفتوح الابواب امام العناصر الوطنية لذلك لم يكن المدرس في البلاط محل ثقة العناصر الاخرى التي كانت تنظر اليه من هذه الزاوية نظرة لا تخلو من السخط..

وقد مر على البلاط عهد كان يتجاذبه الى مجاراة الحركة الوطنية ومعارضة معاهدة سنة ١٩٢٢ والسعي الى عدم قبولها، والثاني كان يحاول جر البلاط باتجاه يميل لقبول المعاهدة والرضوخ لاحكامها ويتزعمه رستم حيدر سكرتير الملك الخاص..

وظل الصراع بين المدرس وحيدر يدور في اروقة البلاط يلوح مرة بشكل علني، ويختفي مرة اخرى بحيث لايبدو الا من وراء الكواليس حتى حسم في حادثة وقعت في ٢٢ آب سنة ١٩٢٢ عندما قامت مظاهرات نظمها الحزبان المعارضان وها حزب النهضة والحزب الوطني احتجاجا على سياسة الانتداب وبمناسبة مرور سنة على تتويج الملك فيصل وقد اتجهت المظاهرات الى البلاط وفي ساحة القشلة تجمعت الجماهير وهي تطالب بمطالب وطنية. وتعالت الخطباء من الحزبين كل منهم يؤكد مطالبه حزبه. ووسط هذا الجو الحماسي وصل فجأة المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس ليقدم التهنئة التقليدية الى الملك، وما ان اقبلت سيارته يتصدرها العلم البريطاني ووقفت وسط تلك الساحة وامام باب البلاط وسط الجماهير المحتشدة ونزل عنها السير برسي كوكس حتى استفز مظهره الجماهير فاندفع احد المتحمسين من المواطنين وهو (حسون ابو الجبن) وهتف بسقوط الانتداب امام المندوب السامي الذي امتقع لونه فدخل البلاط فربا من غضب الجماهير وقدم احتجاجا رسميا معتبرا المدرس مسؤولا عن هذا الحادث ومحرضا عليه..

وقد استغلت هذه الحادثة من قبل السلطات البريطانية التي وجدت فيها ذريعة مناسبة لابعاد المدرس عن البلاط باعتبار ان وجوده في مثل هذا المركز يشكل خطرا على المصالح البريطانية ويعرقل تصديق المعاهدة، فاسرع الملك فيصل الى عزل المدرس من منصبه وكتب الى كوكس يطمئنه بذلك، وانقعت صلة المدرس بفيصل فترة من الزمن حاول بعدها الملك ان يسترضيه فعهد اليه بتولي رئاسة جامعة آل البيت التي تأسست في تلك الفترة تطمينا للمشروع الثقافي الذي كان المدرس يسعى لتحقيقه وقد بذل جهودا جبارة وكتب الكثير من المقالات في الصحف والمجلات عنه. ولما وضعت الفكرة موضع التنفيذ عهد اليه برئاسة الجامعة وكان المدرس شديد الاعتزاز بهذا المشروع الذي خطط له ليكون بداية متواضعة لجامعة عراقية تعيد لبغداد مركزها الحضاري القديم، ولكن سرعان ما اثيرت حوله المصاعب ووضعت امامه العقبات التي حسمها نوري السعيد عام ١٩٣٠ فاجهض المشروع وقضى عليه.!

وتلقى المدرس الضربة بالم، وشعر انه فقد شيئا عزيزا عليه فانسحب من الميدان وانتمى للحزب الوطني الذي كان في ذلك الحين يمثل الجناح المتطرف في الحركة الوطنية واصبح المعبر الاول عنها يطل كل يوم على المواطنين بافتتاحيات شديدة اللهجة تتصدر الصفحات الاولى من جرائد المعارضة وهي مذيلة بتوقيع (الكاتب الكبير).

وعندما اتجهت رغبة الملك فيصل ونوري السعيد لابرام معاهدة عام ١٩٣٠ وقامت قائمة المعارضة الوطنية، برز المدرس بمقالاته العنيفة ووقف وجها لوجه امام الملك فيصل حين كتب مقالته المشهورة (باسم الاستفتاء ومصيره) عارض فيه المعاهدة بعنف وغمر قناة الملك مذكرا اياه بمصير العروش التي تنكرت لاماني شعوبها، وقد وقع المقال وقوع الصاعقة على الملك وكبر عليه ان يهاجمه رئيس امنائه بهذا الاسلوب الذي لا يخلو من التهديد، فاوعز الى نوري لاسعيد بسوقه للمحاكم، وكانت المشكلة ان المقال الافتتاحي المذكور لم يكن يحمل توقيع المدرس. وانما كان كاغلب مقالاته مذيلا بتوقيع (الكاتب الكبير). ومضى نوري السعيد يفكر بمخرج قانوني فلم يسعفه الحظ فاضطر ان يلجأ الى قانون دعاوى العشائر الذي يخول وزير الداخلية تطبيق هذا القانون على بعض رجال العشائر لاسباب امنية فيبعدهم الى اماكن يقررها هو وحسب تقديره. واستنادا لهذا القانون القى القبض على المدرس ورفائيل بطي بوصفه رئيس تحرير جريدة (البلاد) التي نشرت المقال وابعدتهما الى السليمانية وكان الوقت شتاء والبرد شديدا فاثارت هذه الاجراءات ثائرة المعارضة فهبت الصحف الوطنية والاحزاب ورجال المعارضة في البرلمان تنتقد الحكومة على هذا الاجراء مما اضطرها الى اعادة المدرس وبطي الى بغداد بعد مضي ثلاثة اشهر على ابعادهما الى السليمانية. ولا شك ان هذه الحادثة وسعت الهوة بينه وبين الملك الى درجة انه عندما توفي فيصل ونظمت حفلات التأبين في رثائه التي ساهم فيها عدد غير قليل من الشعراء والكتاب بما فيهم الزهاوي والرصافي، لم يقبل المدرس المساهمة فيها رغم المحاولات التي بذلت لحمله على ذلك!...

خيري أمين العمري- ١٩٩٠

مدينة (القرنة) في رحلة سيرل بورتر

د . عماد جاسم الموسوي

تُعدُّ مدينة القرنة من أشهر المدن العراقية البصرية ذات الأهمِّيَة الكبيرة بسبب طبيعتها الجغرافية التي جعلتها مركزاً تمرُّ به القوافل التجارية وكذا الرحلات القادمة من بغداد وإليها أو إلى الخليج العربي، لذا لا يأتي رحَّالة إلى العراق إلّا ويمرُّ بها، ولذلك نجد أنَّ أغلب الرحَّالة والمسؤولين الأجانب قد كتبوا عنها معلومات مفصَّلة ودقيقة وهذا يرفدنا بمعلومات قد تفتقر لها مصادرنا المحلية. يُضاف إلى ذلك: أنَّ توافد المسؤولين الأجانب إلى العراق كان لتحقيق غايات وأهداف مختلفة، وهذا ما عكس لنا مدى الاهتمام الأوربي المتزايد بمناطق الشرق عموماً والعراق على وجه الخصوص؛ لما يمتاز به من موقع جغرافي متميز، وثروات طبيعية هائلة. وكانتْ مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق عام(١٩١٤-١٩٢٠م)أهم مرحلة في تأريخه الحديث في هذا المجال، إذ شهدتْ توافد عدد كبير من المسؤولين الأجانب، لاسيَّما البريطانيين، ونتيجة لذلك، ظهرتْ عدَّة كتابات ومذكَّرات لأولئك المسؤولين ومنهم على سبيل المثال: (ديكسون و(المس بيل)، وغيرهم كثير . وفي هذه المقالة التي هي استكمال للمقالة الأولى والتي بيَّنا فيها المعلومات التي ذكرها عدد من الرحَّالة الذين زاروا العراق ومرُّوا بمدينة (القرنة)، سنحاول أن نسلط الضوء على المعلومات التي ذكرها (سيرل بورتر) عن المدينة بجوانبها المختلفة . (سيرل بورتر) هو أحد الضبَّاط البريطانيين في الهندسة العسكرية كانتْ ولادته عام (١٨٩٥م)، وقد اتجه مع الحملة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى إلى الهند أولاً، ثُمَّ إلى منطقة الخليج العربي، وبعدها إلى العراق، وقد تزوَّج من سيدتين عراقيتين وأنجب عدداً من الأولاد منهم (راشد)،ابنه البكر . إنَّ المعلومات التي وصف بها (بورتر) مدينة (القرنة) كانتْ عبارة عن معلومات يرسلها إلى أخته (دورا) ليطلعها على المناطق التي يصل إليها ويصف أحوالها المختلفة وجوانبها المتنوعة بدقَّة متناهية. جمال الطبيعة يذكر (سيرل بورتر) واصفاً (القرنة) : ((أنَّها قريةٌ صغيرة جداً يقال فيها شجرة أدم ...)). ويضيف: ((المنطقة هنا آخاذة فعلاً لم تُستنزف من قبل البشر بعد، والأهوار تملء الأرض كلها، مساحات من الأرض المزروعة الخضراء، وثمَّ مساحات ومساحات من ألق المياه والمستنقعات المائية التي تبدو مثل المرايا الملتمعة، ورغم عتمة الليل وطول الأماسي،إلّا أنَّ السير ليلاً يغمرني بالنشوة، فالنجوم تزهو بأشعَّتها القوية، وتجديني تغفوا وتتلألأ بزهو، ثُمَّ ترنو إليَّ، ومراقبتها تغمر الروح بالسكينة والطمأنينة وتعادل ساعات من اليوجا (رياضة تأمل عند شعوب شرق آسيا)، والأرض شاسعة وتبدو واسعة جدًّا؛ لقلة البشر فيها؛ إذ لا أعتقد بأنَّ نفوس هذه البلاد من الجنوب إلى الشمال يتجاوز المليونين على أكثر تقدير)) . صيد الأسماك وطبخها ذلك الزمان ويصف (بورتر) عملية صيد الأسماك بالقول ((رأيت رجلاً في منتصف العمر وبيده آلة تشبه الشوكة الكبيرة ويغرزها بسرعة مدهشة ويخرجها وسمكة حية تلبط معلقة فيها وتسمَّى هذه الآلة بالفالة، إنَّها طريقة ذكيَّة لصيد الأسماك)). يتضح من وصف بورتر عملية صيد الأسماك،أنَّ المنطقة كانتْ تمتاز بوجود كمِّيات كبيرة من الثروة السمكية التي يقول عنها: ((الأسماك تملء هذا السطح المائي الهادئ البرَّاق الجليل وكذلك مختلف الطيور الجميلة الغريبة نهارا عندما لا أكون منشغلا مع الفريق الهندسي أبقى أراقب تلك المخلوقات التي تطفو على الماء وتلتقط عيشها سمكة كانتْ أم عشباً بحريَّاً أو دودة صغيرة وتجدها لاهية عن كل ما يحيط بها، وبما أنَّ القوَّات التركية قليلة العدَّة والعدد فإنَّ الحرب لم تستطع إخافة الطيور بعد والمدافع نسبيا بعيدة عن المنطقة التي نحن فيها)) كما إنَّ (بورتر) يصف السمك وطبخه بالقول: ((السمك طعمه لذيذ جدا وطريقة طبخه غريبة حقًّا؛ إذ أنَّهم أولا يقطعون السمك من الظهر أي: بالقرب من الهيكل العظمي، ثُمَّ تُفتح السمكة، وتبدو وكأنَّها قطعة واحدة، ويبقون على الجلد والرأس، ثُمَّ تُغرز بعض العيدان الرقيقة نسبياً في الأرض بشكل قوس وتشعل النار بالقرب من تلك العيدان ولا أدري كيف لا تحرق تلك العيدان، تعلق السمكة على تلك العيدان وتحتها نار هادئة، وبعد فترة ليستْ بالقليلة توضع السمكة مباشرة على النار، اللحم اللذيذ إلى الأعلى والجلد على العيدان المتجمِّرة، رائحة الشواء تُزكم الأنوف وتفتح الشهيَّة وتمتدُّ الأصابع لتنهش اللحم المشوي، وبمهارة يُفصل اللحم عن الأشواك العظيمة، كنتُ أحاول جاهدا تقليدهم فلم أفلح بابتلاع ولو لقمة واحدة،وقام دليلنا –الملَّاح إبراهيم –بفصل اللحم عن العظم ووضعه علي رغيف خبز،وقدَّمه لنا – نحن الضباط – وكانتْ وجبة لذيذة حقًّا إلّا أنَّ أكثر الضبَّاط الهندوس امتنعوا عن الأكل واكتفوا بالفجل والبصل الأخضر والخبز)). زراعة الرز وفضلا عما تقدم فإنَّ (بورتر) يُشير إلى اشتهار مدينة (القرنة) بإنتاج الرز أو ما يُطلق عليه محليًّا بزراعة (الشلب) أو (العنبر) إذ يقول في هذا المجال: ((الرز المحلي لا نظير لطعمه ورائحته العبقة، ويزرع قرب الأهوار بين الناصرية والعمارة وكل يوم تعمر مائدتنا بهذا الرز الرائع)). ومن الأوصاف السابقة لمدينة القرنة ومنتجاتها يتَّضح جليًّا: أنَّ المنطقة كانتْ تتميَّز بمواصفات طبيعية قد لا تتوافر في مدن أخرى، فكانتْ الثروات الطبيعية لاسيَّما الأسماك متوفرة بكثرة بل إنَّها تُمثل مصدر معيشة سكَّانها و مصدر ثرائهم أيضا، ولكثرتها دفع أهالي المنطقة إلى تصديرها وبيعها إلى المناطق الأخرى التي لا تتواجد فيها، كما إنَّ (بورتر) يُعطينا وصفاً دقيقاً لطريقة طبخ السمك تلك الطريقة التي ماتزال مستخدمة حتى وقتنا الحاضر وهذا يدل على عبق الماضي الذي ما زال حتى يومنا هذا. الملابس ذلك الزمان كما يصف لنا(سير بورتر) الملابس ذلك الزمان في المدينة فيقول: ((يطغى اللونُ الأسود على ملابس النساء وبالكاد أرى ألواناً برَّاقة مثلما اعتادتْ عليه عيناي في الهند، والناس هنا من الجنسين يلبسون الملابس الطويلة التي تصل إلى الكاحل وفوق منها مايشبه المعطف يسمُّونها العباءة، ويرتديها الرجال والنساء، إلّا أنَّ الرجال يضعونها على أكتافهم ويُغطون رؤوسهم بالعقال والغترة، أو يلفونها بالعمامة. ولكل مذهب طراز ولون مُعيَّن من غطاء الرأس، تكشف طريقة تغطية الرأس عن المنزلة الاجتماعية بتحديد نوعية العقال، فكل إنسان هنا يُفصح ويصرح عالياً معلناً عن هويته وانتمائه الطائفي والاجتماعي، أمَّا النساء فيغطين رؤوسهنَّ بالعباءة، ورأس المرأة ملفوف بطرحة من القماش الأسود، تتدلى منها الشراشيب التي لا تستغني عنها وجوههنَّ الملوءة بالوشم وكذلك أكفُّهنَّ)). ويتَّضح من وصف (بورتر) الجانب الإجتماعي، وما كانتْ تتميَّز به المرأة العربية المسلمة من عفَّة وحياء والتزام وعفوية، وهذا يُمثل درساً لما يمرُّ به المجتمع اليوم من غزو ثقافي وفكري لاسيما في الأزياء والملابس والتقليد الاعمى – عند البعض- للغرب دون وضع حدود معينة.

. اعتمدت المقالة على المصدر: أمل بورتر، العراق بين الحربين العالميتين من خلال رسائل سيرل بورتر.
عن موقع (مركز تراث البصرة)

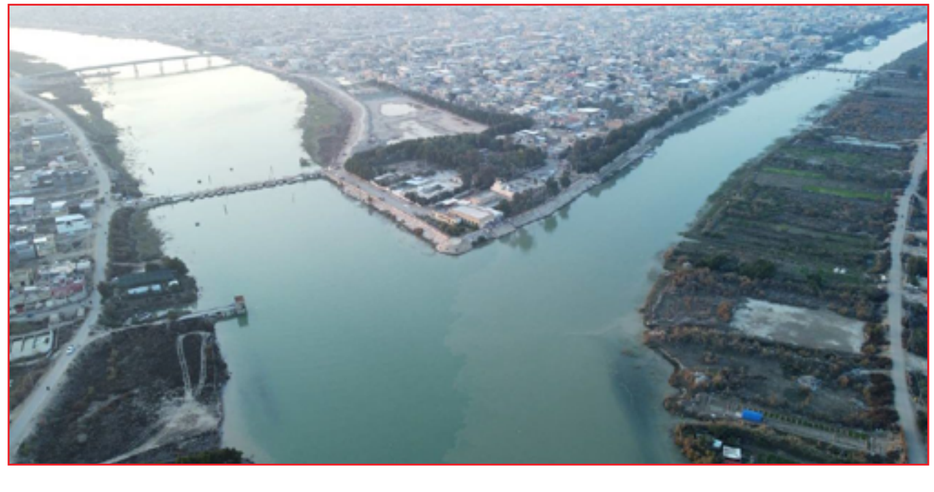

المُلا عثمان الموصلِيّ في مصر

د . باسل يونس ذنون الخياط

يُعد المُلا عثمان الموصلي رمز عراقي شامخ، وهو من الشخصيات الأكثر تأثيرا في المشرق في مجال تلاوة القرآن الكريم والموسيقى. وهو رجل عصامي امتلك العديد من الخصائص والمزايا والتي جعلته يتبوأ مواقع مقدمة في المجتمع.

تكمن أهمية المُلا عثمان أنه رائد pioneer مميز وفريد بعطائه النفيس وبآثاره الخالدة من أعمال نفيسة وتلاميذ عظام في العديد من البلدان.

لقد أحب الموصليّ بلده العراق وقدَّم له الكثير من العطاء المميز من أقصى شماله لأقصى جنوبه، كما أحبه الناس في أنحاء العراق وكذلك في البلدان التي عاش فيها ورددوا ألحانه.

بهذا الخصوص أستشهد بحدثين واحد من جنوب العراق والآخر من شماله: يذكر المؤرخ البصري حامد البازي (١٩٢٠- ١٩٩٥) في جريدة القادسية الصادرة في ١٩٨٨/٧/٧: «إن الشيخ عثمان الموصليّ زار البصرة مرتين بعد الانقلاب العثماني ولقي فيها الكثير من الحفاوة والتكريم واتصل بعلماء البصرة ووجهائها والفنانين فيها، وقد أكرم (طالب باشا النقيب) الذي كان مرشحا لعرش العراق قبل الملك فيصل الأول المُلا عثمان وأقام له الحفلات والدعوات".

ويذكل المؤرخ البازي أن الموصليّ غنى على مسرح (اولكه) أغنية من نغم الرسم. كما لحن الموصليّ أغنية (شمس الشموسة) في البصرة؛ وقد غنتها المغنية البصرية (طيرة) على يخت الشيخ خزعل أمير المحمِّرة الذي كان راسيا في شط العرب بالعشار وبحضور الشيخ خزعل نفسه. وقد اشتهر بهذه الأغنية فيما بعد كل من سيد درويش وفيروز.

وأما الحدث الثاني فهو من شمال العراق. فقد زار الولد الثاني للمُلا عثمان (فتحي عثمان الموصليّ) مدينة السليمانية، ولما عرف شيوخ السليمانية أنَّه ابن المُلا عثمان زوجوه إحدى بناتهم (مريم عزيز)، وقد كان أغلب أحفاد المُلا عثمان من هذه السيدة الفاضلة.

لقد كتبت الكاتبة (زينب زن□نة) من القاهرة: « المُلا عثمان الموصليّ عبقري الغناء العراقي .. إنه واحد من أكبر مغني العراق في فجر العصر الحديث ومن عباقرة الموسيقى والغناء الديني وله دور كبير في تطوير المقام العراقي وتدريسه. ويعتبر حلقة وصل تاريخية بين عصرين، كما أن موسيقاه تشكل منعطفاً مهماً".

لقد ترك الموصليّ العديد من الآثار في البلدان التي عاش فيها، وبخاصة في: العراق وتركيا ومصر وسوريا. وقد نقل المقامات العراقية والتركية إلى مصر.

من الألحان الشهيرة للموصليّ لحن أغنية (البنت الشلبيَّة) التي اشتهرت في تركيا، وأشهر من غناها المغنية التركيةDeniz Seki تحت عنوان Böyle Gider (Gelmiş) Böyle Gider). وقد انتشر هذا اللحن عالميا في العديد من البلدان وتغنوا به بلغات مختلفة.

وبعد قرابة ثلاثة عقود من وفاة المُلا عثمان، ظهر هذا اللحن في الهند. ويذكر (سلامة عبد الحميد) في مدونته بتاريخ ١٥ ديسمبر ٢٠١٠ أن أغنية "البنت الشلبيَّة» التي غنتها فيروز مقتبسة أصلا من لحن هندي مطابق عام ١٩٥٩ . ويؤكد ذلك أيضا الكاتب العراقي المعروف (زيد خلدون جميل) وأن أغنية (البنت الشلبيَّة) قد اقتبست من قبل أحد المغنيين الهنود عام ١٩٥٩ ثم غنتها فيروز.

لقد كان الموصليّ شاعرا مبدعا فضلا عن كونه موسيقارا بارعا، ومن قصائده الشهيرة قصيدة (قدُّك المياس يا عمري). ويدرج موقع (المعرفة) أغنية (قدُّك المياس) ضمن أشهر أعمال المُلا عثمان في الموسيقى، ويذكر أن اسمها بالتركية ada sahillerinde. كما يدرج هذا الموقع (قدُّك المياس) مع كل من (يا غزالاً كيف عني أبعدوك) و (أه يا حلو يا مسلبني) اللواتي غناهما أيضا العملاق الحلبي صباح فخري (١٩٢٣ – ٢٠٢١) من ضمن أشهر أعمال الموصليّ في الموسيقى.

وتُعد (قدُّك المياس) أيقونة الغناء الحلبي الذي تَغَنَّى باسمها، ويطلق عليه (قدود حلبية) نسبة إلى أغنية (قدُّك المياس).

من أبرز تلاميذ الموصليّ في تركيا الموسيقار التركي كاظم أوز، وسامي بيك رئيس أكبر فرقة موسيقية تركية، وكذلك المغنية نُصيب.

ومن تلاميذ الموصليّ من السوريين الشيخ أحمد أبو الخليل القباني (١٨٣٣- ١٩٠٣م)، الذي أخذ عن أستاذه فن النغم والألحان؛ لاسيما الموشحات، ومن أشهر ألحانه: (صيد العصاري يا سمك بني)، (يا طيرة طيري يا حمامة... ودِيني لدمَّر والهامة)، (يا مال الشام يا الله يا مالي طال المطال يا حلوة تعالي).

ولو انتقلنا إلى مصر فإن من أشهر تلاميذ الموصليّ من المنشدين والموسيقيين المصريين هو (إمام المنشدين) الشيخ علي محمود (١٨٨٠-١٩٤٦) الذي، حاله كحال أستاذه المُلا عثمان، جمع السلطتين: إماما للمنشدين ومرجعا للملحنين. ومن أشهر تلاميذ الشيخ علي محمود: إمام الملحنين الشيخ زكريا أحمد (١٨٩٦-١٩٦١) الذي أكد أن أستاذه الشيخ علي محمود أخذ الموشحات التركية من المُلا عثمان وهو الذي أدخلها إلى مصر.

ومن تلاميذ الموصليّ أيضا في مصر كامل الخلعي (١٨٨١-١٩٣١) الذي أخذ منه الموشحات المقامة على الأوزان التركية والشامية، وسيد درويش (١٨٩٢-١٩٢٣) الذي درس على يدي الموصليّ لفترتين منفصلتين في سوريا. ففي العام ١٩٠٩ تعرَّف سيد درويش بالمُلا عثمان الموصليّ في الشام وتتلمذ على يده، وكان عمر سيد درويش سبعة عشر عاما، حيث كان ضمن فرقة عطا الله الغنائية المصرية، وقد مكث سيد درويش في الشام عشرة أشهر.

وفي العام ١٩١٢ قامت فرقة عطا الله برحلتها الثانية إلى حلب، وقد مكث سيد درويش مع أستاذه الموصليّ فترة أطول، وقد أتيحت الفرصة لسيد درويش لتعلم الموسيقى وأصولها بشكل أكبر على يد الموصليّ، وقد أخذ منه أصول الموشحات التركية والشامية والعربية. لقد ذكر الكاتب المصري محمد علي حماد (أن تلك الرحلة كانت حجر الأساس في بناء شخصية سيد درويش الفنية وقد استفاد كثيرا من أستاذه المُلا عثمان). أما الشيخ المصري محمود مرسي فيقول (إن الشيخ سيد درويش عاد بعد هذه الرحلة أستاذا كبيرا في ميدان الموسيقى العربية).

من أشهر الأعمال التي اقتبسها سيد درويش من أستاذه الموصليّ أغنية (زروني كل سنة مرة) والتي نال منها شهرة كبيرة؛ وهي في الأصل موشح ديني للموصليّ عنوانه (زُر قبر الحبيب مرة). وهناك أيضا أغنية (أه يا زين العاشقين) وهي أغنية عراقية للموصليّ عنوانها (النوم مُحرَّم لأجفاني. ومن أعمال الموصليّ التي غنتها واشتهرت بها فيروز (البنت الشلبيَّة)، وقد أثير جدل واسع حول أصل لحن (البنت الشلبيَّة)، وقد نطق عاصي الرَّحباني (١٩٢٣-١٩٨٦) واعترف صراحة أن أصل اللحن حلبي، وأنه قد قام بإجراء إضافة طفيفة عليه.

وهناك أيضا أغنية (الروزانا) والتي اشتهرت بها فيروز أيضا وغناها كذلك صباح فخري وآخرون. وهي أغنية عراقية موصلية للشاعر الدفتردار عبد الله راقم أفندي الموصليّ (١٨٥٣-١٨٩١م) ومن ألحان صديقه المُلا عثمان الموصليّ، كما أكد ذلك بشكل واضح المؤرخ العراقي الأستاذ الدكتور سيَّار كوكب علي الجميل.

لقد ناقش المؤتمر الموسيقي العربي الثاني الذي انعقد في قاعة الشعب في بغداد عام ١٩٦٤ موضوع اقتباس ألحان الموصليّ. ومن الشخصيات التي شاركت في المؤتمر الدكتور محمد صديق الجليلي (١٩٠٣-١٩٨٠) الذي كان يمتلك مكتبة عامرة تضم نوادر الأسطوانات الموسيقية.

لقد قدَّم الدكتور الجليلي لمؤتمر الموسيقى العربي الثاني وثائق سمعية وبصرية تؤكد بما لا يقبل الشك عائدية الكثير من أشهر الأغاني الشائعة في العراق والسوريا ومصر إلى المُلا عثمان الموصليّ. ومن بين هذه الأغاني بعض الأغاني المنسوبة إلى تلميذه الشيخ سيد درويش، مثل (طلعت يا محلا نورها شمس الشموسة) و (زوروني بالسنة مرة) وغيرها.

وبعد أن أيقن المؤتمر بالأدلة القاطعة عائدية هذه الألحان للمُلا عثمان، أوصى بأحقية المُلا عثمان بها.

عن (مركز الوتر السابع)

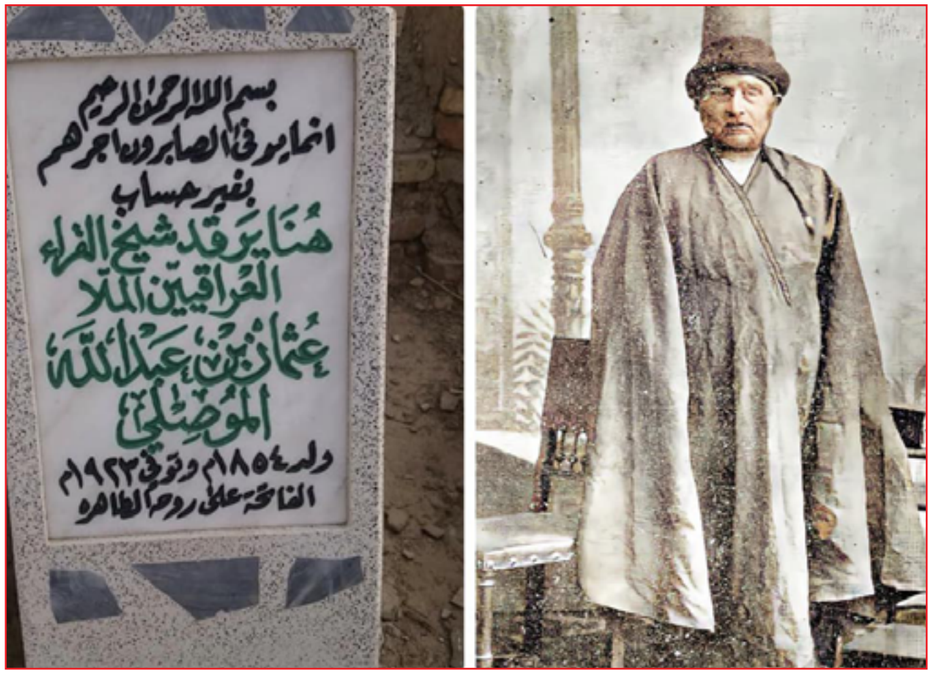

لنتذكر الفنان عبد الامير الطويرجاوي

اعداد : اسلام خزعل

ذاكرة

ولد عبد الامير بن كاظم بن حمادي الطويرجاوي في قضاء طويريج في محافظة بابل. و لمدينة طويريج تاريخ حافل في ميدان الغناء الريفي , مما ساعد الفتى عبد الامير على التعرف على اساتذة الغناء وهو في العاشرة من عمره. وفي عام ١٩١٥ بدأ الغناء وخاصة في المواليد ومواسم التعزية. ابتكر طوره الخاص به و سمي بطور الطويرجاوي وهو يختلف عن الاطوار الاخرى من حيث درجاته النغمية ويتميز هذا الطور بانه ينسجم مع طقوس المنبر و ليالي السمر معاً.

و كان الطويرجاوي من اوائل المغنين في اذاعة بغداد حين افتتحت عام ١٩٣٦. وقد لقب بامير الغناء الريفي . توفي المطرب و الشاعر عبد الأمير الطويرجاوي في بغداد صبيحة يوم ٢٧ / تموز / ١٩٧٠.

في العاشرة من عمره تولع بالغناء بعد أن تعرّف على أساتذة الغناء في ذلك الوقت الذين كانوا يعيشون في نفس المدينة، فلمدينة طويريج تاريخ خاص في مجال الغناء الريفي، من حيث الأبوذيات والمواويل والإيقاعات الخاصة بها.. بالإضافة إلى أن القسم الأكبر من هؤلاء المطربين هم من اكتشفوا مجموعة الأطوار الغنائية الريفية التي نشأت على أنغامها حناجر مطربي الريف منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا.

بدأ عبد الأمير الطويرجاوي بالغناء عام ١٩١٥ في بيوت آل قزوين في الهندية طويريج، وكانت بداية غنائه في المواليد ومواسم التعزية.

ابتكر طوره الخاص به والذي سمي باسمه " طور الطويرجاوي " الذي يمتاز باختلافه من حيث درجاته النغمية عن بقية الأطوار التي تعرف نغماتها بمجرد أن تسمعها للمرة الأولى.. ويتميز هذا الطور بأنه من الأطوار التي تنسجم مع طقوس المنبر وليالي السمر معاً. حين افتتحت إذاعة بغداد عام ١٩٣٦ كان الطويراجوي من أوائل المغنين فيها.

حُكِمَ على المطرب عبد الأمير الطويرجاوي بالإعدام بعد فشل ثورة مايس ١٩٤١، إلا أنه أفلت من هذا الحكم بالاختفاء عند بعض الأصدقاء في بغداد إلى أن هدأت الأمور، وفي بداية الخمسينات سافر متخفياً إلى خارج بغداد.. وحين قيام ثورة ١٤ تموز١٩٥٨ عاد إلى بغداد.

كانت للمطرب و الشاعر الطويرجاوي خبرة واسعة باصول المقامات التي تمرس في ادائها، ويمتلك حنجرة ذات قابليات كبيرة ساعدته في ان يحتل و بجدارة امارة الغناء الريفي لفترة طويلة من الزمن حتى اصبح مدرسة بحد ذاته يدرس و يتعلم منها معاصريه وكذلك الاجيال اللاحقة من مطربي الاغنية الريفية.و للطويرجاوي الفضل في ان يكون اول من عرف المدينة بالابوذية واول فنان ريفي يقرأ المواليد مع المطربين الكبيرين محمد القبانجي و المطرب يوسف عمر.

كان له دور أيضا في دعم حركة مايس/١٩٤١ ضد المحتل الإنجليزي من خلال الأغاني التي تبث روح الحماسة عند العراقيين،وحكم عليه بالإعدام لاشتراكه بتلك الحركة، ولكنه تمكن من الاختباء بين محبيه وأهله. يعد مرجعاً في أشكال الغناء العراقي، بخاصه الأبوذيه الجنوبية. عرفت طريقته نسبة اليه « الطويرجاوي» وقد أخذ بعض المطربين وقراء المناقب النبوية طريقته في الأداء.ظل هذا الفنان دائم العطاء وقد سافر خارج العراق لتسجيل بعض الأسطوانات.

وبعد ثورة تموز المجيدة عام ١٩٥٨م عاد ليزاول نشاطه الفني مع اشهر المطربين الريفيين، وهم كل من شخير سلطان ومسعود العمارتلي وخضير حسن وناصر حكيم وحضيري ابو عزيز.. حتى سجل معهم الكثير من الاسطوانات الغنائية لحساب شركات التسجيل آنذاك، وما تزال تباع اشرطته في محلات التسجيل في بغداد كافة، لأن هذه التركة الفنية ستبقى خالدة في ذاكرة الاجيال تتوارثها جيلا بعد جيل.

إهتم الموسيقار المرحوم جميل سليم بصوت المرحوم عبدالامير الطويرجاوي فسجل له ثلاث اسطوانات مع الفرقة الموسيقية وقد احيا عددا كبيرا من الحفلات كما كما قرأ بعض المقامات العراقية في مقهى البولنجية ومقهى المميز وقد دخل دار الاذاعة العراقية عند افتتاحها في ١/ ٧/ ١٩٣٦ وقدم اول حفلة على الهواء.

وقد اشترك الطويرجاوي في ثورة مايس ١٩٤١ بالهوسات الشعبية ضد الانكليز وقد حكم بالاعدام الا ان الحكم لم ينفذ به وخلال ذلك عاد الى قضاء طويريج وعين مأمورا في سوادري الحلة بعدها عاد الى بغداد ثم واصل تقديم حفلاته الغنائية اذ سجل عددا من الابوذيات وقرأ طور الصبي والعياش والمثكل. وقد انفرد المرحوم عبدالامير بخاصية ميزته عن غيره من المطربين وقد تأثر المطرب حسن داود وبخاصة اجادته لطور الصبي. وقد كان الطويرجاوي شاعرا شعبيا متميزا حيث الف عددا من الاغاني منها (شنهو الراي دليني) ومن الشعراء الذين كتبوا له الملا منفي عبد العباس فليح الحلي ملا سلمان الشكرجي والمرحوم جبوري النجار والملا عبود الكرخي.

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6010) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (20) تشرين الأول 2025

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون